وزارة التربية
التوجيه الفني العام للتربية الإسلامية

القيم

ومظاهرها السلوكية

أولا:تعريف القيم

المعايير التي يحكم عليها الناس بأنها حسنـــــة
ويريدونها لأنفسهم ويبحثون عنها ويكافحون في سبيـــــل
تقديمها للأجيال القادمة ، والإبقاء عليها جزءاً حياً مقبولاً
من التراث الذي تعامل به الناس جيلاً بعد جيل .)
(دراسات في الفكر التربوي – د. وجيه الصاوي)

أو هي المواقف التي تقدم له بالبصر، فهي محك نحكم بمقتضاه على ما هو مرغوب منه أو مفضل في موقف توجد فيه عدة بدائل .)

أو (هي الأحكام التي تصدر من الفرد بالتقبل أو التفضيل تجـاه)

ثانياً : أهمية القيم على المستوى الفردي

تهيئ للأفراد اختيارات معينة تحدد السلوك الصادر عنهم .
- يمكن التنبؤ بسلوك صاحبها متى عرف ما لديه من قيم أو أخلاقيات
- أنها تعطي الفرد إمكانية أداء ما هو مطلوب منه وتمنحه القدرة على التكيف والتوافق .
- أنها تحقق له الإحساس بالأمان وتعطي له الفرصة في التعبير عن نفسه .
- أنها تعمل على ضبط الفرد لشهواته كي لا تتغلب على عقله ووجدانه .
- تشير القيم إلى الكيفية التي سيتعامل بها الإنسان في المواقف المستقبلية وتساعد الإنسان على التفكير في تلك المواقف .

وأهميتها على المستوى الاجتماعي

- **تحفظ على المجتمع تماسكه ، وتحدد له أهداف حياته ومثله العليا ومبادئه الثابتة .**
- **تساعد المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه.(العولمة)**
- **تساعد على التنبؤ بما سيكون عليه المجتمعات ، فالقيم والأخلاقيات الحميدة هي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الحضارات .**
- **إن القيم تستخدم كمعايير وموازين يقاس بها العمل ويقيم بمقتضاها السلوك .**
- **تتوقف قوة المجتمع وتماسكه إلى حد كبير على وحدة القيم**

ثالثاً : روافد تكوين القيم :

من أهم الروافد العامة في تكوين القيم :
ومن ثم النظام التدريجي لها:
الدين ، البيئة الثقافية ، وخبرة الفرد ..

والتربية التي يتلقاها والجو العائلي ، والمدرسة ، والمجتمع .
ثم تأتي بعد ذلك روافد أخرى من مثل :
نوع الذكاء ،والحاجات ، والميول والاتجاهات ، وروح المبادرة والإرادة .
وكلها تتحقق عن طريق الخبرة الشخصية ..
وهناك روافد تتعلق بالأصل البيئي وهي على سبيل المثال :
أسلوب الحياة ، والعادات والتقاليد الأسرية والاجتماعية ونماذج السلوك .

رابعاً : مستويات القيم :

حدَّد "كرا ثوول وزملاؤه"ثلاث مستويات لاكتساب القيم وهذه المستويات هي :
١- المستوى الأول : مستوى الاستقبال(التقبل):
- ويتضمن الاعتقاد في أهمية قيمة معينة ، يبرز من خلالها تقبل الفـرد للقيمة بحد ذاتها ، ويكاد يكون الإلمـام والإطـلاع يكون سلوكاً معرفياً ،وهي أدنى درجات اليقين .
٢- المستوى الثاني : مستوى التفضيل :
ويشير إلى تفضيل الفرد لقيم معينة وإعطائها أهمية ، ويجعل لديه الرغبة في المتابعة والاهتمام بالموضوعات المرتبطة بتلك القيمة .
٣- المستوى الثالث : مستوى الالتزام :
وهو أعلى درجات اليقين ، ويتمثل في الولاء لقيمة أو مبدأ معين ، وحيث الشعور بأن الخروج عن هذه القيمة سوف يخالف المعايير السائدة .

خامسا :مصادر اشتقاق القيم :

يُعَد القرآن الكريم والسنة النبوية إضافة إلى الخبرة التاريخية من المصادر الأساسية لاشتقاق القيم ...
وقد تم التوصل إلى مجموعة كبيرة من القيم لكل منها مجموعة من المظاهر التي تعبر عنها ... من مثل :
(العبودية – الإخلاص – الوفاء بالعهود – أدب الحديث والتحاور
سلامة الصدر من الأحقاد –العفة والطهارة – الشورى – الطاعة

بعض القيم ومظاهرها السلوكية

القيمة	مظاهرها
الطاعة	الانقياد لأوامر الله تعالى ، طاعة الرسول ﷺ
الانتماء	بذل الجهد في سبيل رفعة الوطن ، الاهتمام بالمشكلات المرتبطة بالوطن ..
أدب الحديث والحوار	حسن الاستماع ، احترام الرأي المخالف ، عدم المقاطعة ...
سلامة الصدر	حب الخير للآخرين ، ترك الأنانية ، الابتعاد عن الحسد والحقد ..
النظافة	طهارة الجسد والملبس والمشرب ، الحرص على نظافة المكان ..
التكافل الاجتماعي	الحض على الإنفاق ، أداء الزكاة ، مساعدة المنكوبين والمتضررين ..
العفة والطهر	غض البصر ، الاستئذان ، تطهير القلب والنفس والجوارح من الآثام.
الحلم	ضبط النفس عند الغضب ، مقابلة السيئة بالإحسان ، سعة الصدر ...
التواضع	لين الجانب ، عدم التفاخر ، البعد عن الكبر والغرور ...

قيم من القرآن الكريم والسنة المطهرة

١-قيم من القرآن الكريم

-التعاون على الخير :
قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى . .)
-احترام وطاعة الوالدين :
قال تعالى (. وبالوالدين إحسانا .)
-الطهـارة :
قال تعالى(إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. عدم الإسراف :
قال تعالى(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين)

٢-قيم من السنة المطهرة

- الصدق: قال رسول الله –:
- (عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البرِّ)
- إكرام الضيف : قال رسول الله –:

(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)

- الأمانة : قال رسول الله –:
- (أدِّ الأمانة لمن ائتمنك)
- العطف على الصغير واحترام الكبير: قال رسول الله –:

(ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا)

العلاقة بين القيم التربوية والثقافة

ان طبيعة الثقافة من حيث كونها ربانية أو بشرية، لها أثر فاعل وحاسم في نوعية القيم والمعايير التي تتشكل منها
تلك الثقافة، وهي بالنتيجة ذات أثر حاسم في أنماط السلوك التي درج عليها الأفراد . وإذا كانت التربية تعني من بين ما تعنيه (اقتباس المعارف من كنوز الثقافة بغية النجاح في الحياة، ثم العيش بانسجام مع كياننا) (١)، فإننا نعلم أن تلك المعارف تتألف، من جملة ما تتألف منه، من نسق القيم التي لا مناص من أن يتم تمثلها من طرف الأفراد، إذا ما أرادوا أن يرتبطـــوا برباط الانسجام مع البيـــئة التي ينتمون إليها، إذ الثقـافة كما يرى مالك بن نبي رحمه الله، (هي التعبير الحسي عن علاقة الفرد بهذا العالم، أي بالمجال الروحي Noosphére الذي ينمي فيه وجوده النفسي، (أي إنها) نتيجة الاتصال بذلك المناخ) (٢).
وعلى هذا الأساس، فإن (الثقافة الشخصية نقطة لقاء بين علم النفس وعلم الإنسان، فهذا العلم يذكرنا بأننا لا نستطيع أن نفهم الفرد فهمًا جيدًا بغير أن نأخذ في اعتبارنا الوضع

الثقافي ومقومات الثقافة، ولا أن نفهم مؤسسات الثقافة بغير معرفة بالأفراد الذين يشـاركون فيها.. وكثـــير من جوانب سلوك الإنسان ينبغي أن تفسر لا في ضوء الفرد نفسه، بل وأيضًا في ضوء الثقافة، سواء كانت خارجية أو داخلية .. ونستطيع أن نلاحظ الثقافة في سلوك الأفراد) (٣).

إن بإمكاننا أن نخلص بمقتضى المعطيات إلى أن اختلاف الأفراد من حيث أنماط السلوك، إنما هو عائد إلى اختلاف الثقافات التي يتحركون في مناخها، وهي تختلف باختلاف طبيعة القيم التي تشكل نسيجها وتكون نسغها . وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد من وضعه في الحسبان كلما تعلقت الهمم بإصلاح الخلل في البناء الاجتماعي والحضاري، لأن المفروض في الفعل الثقافي (أن ينمي في الإنسان أساسًا دوافع البناء، وإذا شئت فقل: إن الفعل الثقافي، ككل فعل تغييري، ينبغي أن يشتمل على عنصري الهدم والبناء : هدم العناصر المظلمة التي تشد الإنسان إلى الحضيض وتعوقه عن الانطلاق (...) وبناء العناصر المشرقة التي تدفع بالإنسان إلى الحركة من أجل أن يسمو إلى مكانة التكريم الإلهي) (٤).

وتجدر الإشارة هنا إلى حقيقة جوهرية من حقائق النفس والاجتماع، وهي أن العناصر المشرقة المذكورة، لن تتحول إلى فعل تغييري إلا إذا تمثلتها النفوس وأدت بالتالي إلى تجانس بينها في الاتجاه والسلوك. (فلدى ميلاد المجتمع الإسلامي مثلاً، كانت ثقافة هذا المجتمع جد متجانسة، متحدة الطابع عند الخليفة والبدوي البسيط، وذلك يتجلى على سبيل المثال في موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما خطب في المسلمين غداة توليه الخلافة، فقال قولته المشهورة: (أيها الناس من رأى منكم فيّ اعوجاجًا فليقومه) .. وكان الرد على هذه القولة ما نطق به أحد هؤلاء البدو البسطاء : (والله لو رأينا فيك اعوجاجًا لقومناه بسيوفنا) (٥).

هذا الحوار الرائع، كان يعكس بشكل عجيب وحدة الفكر والدوافع والعواطف التي كانت تحكم سلوك الخليفة والبدوي البسيط . وعمر بن الخطاب رضي الله عنه هنا كان يتجه بخطابه في تلك اللحظة إلى مجتمع له منظومة خاصة من القيم تغلغلت في نفوس أفراده واختلطت بدمائهم، فولدت نمطًا واحدًا من الفكر والسلوك(٦).

غير أن هذا المعنى يعبر عن حقيقة نمط واحد من الثقافة، هو نمط الثقافات البشرية التي تعيش على جهل مقيم بالإنسان وبحاجاته الحقيقية وأشواقه العميقة. فهي مهما بذلت من جهد تظل قاصرة عن الوفاء بتلك الحاجات والاستجابة لتلك الأشواق .. أما النمط الثقافي الآخر وهو الثقافة الربانية، فمن بدهيات الأشياء أنها تحقق الإشباع لكل حاجات وأشواق الإنسان _ إذا ما ربط وجوده بها _ لأنها صادرة من خالق الإنسان الذي يعلم من خلق.

وإذا نحن تحدثنا بالنسبة المئوية على طريقة بعض المشتغلين بالمسألة الثقافية، قلنا بكل يقين: إن الثقافة الربانية ترعى وتنمي ١٠٠% من قدرة الإنسان الإبداعية، لأنها تطلق كل طاقاته من عقالها، في إطار من الضبط والتنظيم، يجعله في منجى من إهدار أي جزء

من تلك الطاقة فيما ليس في صالح الإنسانية بعامة . وإن العطاء الذي قدمته الحضارة الإسلامية للإنسانية خير دليل على ما أقول.
إن الحقيقة السالفة تفسر لنا لماذا توقف ركب الحضارة الإسلامية عن العطاء عندما اصطدم المسلمون بصخرة الاستعمار، بحيث تجمدت قواهم وتعطلت قدراتهم الإبداعية، وما زالوا يعانون من هذا الشلل الفظيع، لأن نفوسهم ما زالت مقطوعة الصلة بذلك التيار العظيم الذي أعطاها الدفع القوي في عهود التألق والازدهار .. إنه تيار الإسلام، عقيدة وشريعة ومنهج حياة، وما يتضمنه كل ذلك من قيم شاملة.
ولعل فحوى هذه الحقيقة هو ما ظل مالك بن نبي رحمه الله يدندن حوله في كتاباته التي تندرج في إطار مشكلات الحضارة. يقول في كتابه (مشكلة الثقافة) : (وسنظل نكرر ونلح في تكرارنا أن أزمة العالم الإسلامي منذ زمن طويل، لم تكن أزمة في الوسائل وإنما في الأفكار، وطالما لم يدرك هذا العالم تلك الحقيقة إدراكًا واضحًا، فسيظل داء الشبيبة العربية الإسلامية عضالاً بسبب تخليها عن ركب العالم المتقدم، فعلى المربين في ال بلاد العربية والإسلامية أن يعلّموا الشبيبة كيف تستطيع أن تكشف طريقًا تتصدر فيه موكب الإنسانية، لا أن يعلموها كيف تواكب الروس أو الأمريكان في طرائقهم، أو كيف تتبعهم؟) (٨).
وأكثر من ذلك، فإن على هؤلاء المربين وعلى من بيدهم مقاليد الأمور - وهم الذين يملكون الحل والعقد- على هؤلاء جميعًا أن يسارعوا إلى تنقية الإطار الثقافي الذي يتحرك فيه الإنسان المسلم من العوائق والمثبطات التي تسحق الإنسان المسلم بلا رحمة، وتمارس عليه تعذيبًا رهيبًا، وتهز بنيانه النفسي والعقلي هزًا عنيفًا، لا يكاد يقوى على مقاومته والثبات في وجهه إلا من أوتي بسطة من العزم والإيمان.
والإسلام يسعف هؤلاء المسؤولين، إذا خلصت نياتهم وصح عزمهم، لأن منهجه "لبناء الثقافة منهج شامل، كما يجب أن يكون إن فهمناه حق الفهم .. وهذا الشمول هو من الخصائص الأساسية للشريعة، فكل جانب من الحياة الإنسانية له حكمه ال ملائم في الإسلام. (...) ومن هنا فإن واجب المفكر المسلم أن "يؤسلم" الحياة، أي أن يحدد نظريًا وتطبيقيًا علاقة الإسلام بكل جزئية في الحياة الإنسانية(٩).
وخلاصة القول : (إن الديانة (عندما) تكون سعيًا وراء مثال روحي، وتوقًا صادقًا إلى تحقيقه، فهي بحد ذاتها المظهر الأسمى للثقافة) (١٠).
بين الثبات والتطور:
في هذا المحور يجدر بي أن أطرح السؤال التالي: هل القيم التربوية تتسم بطابع الثبات أم بطابع التطور؟ وهل هي ذاتية أم موضوعية؟ يقول "د. منير مرسي ": (تبعًا للنظرية التواترية، فإن الطبيعة الإنسانية طبيعة شاملة. فجوهر الإنسان يتمثل في الغاية التي يحيا من أجلها، والتي يجب أن تكون غاية دينية وعقلية وفكرية، لذا فجميع أشكال التربية في ظل جميع الظروف لها مثل أعلى ثابت) (١١).

إن ما ذهبت إليه النظرية التواترية ينطلق مما ينبغي أن يكون، وهو يعبر عن رؤية عميقة. ولكن السؤال المطروح هو ما إذا كانت الثقافات الموجودة في العالم تعبر عن هذه الحقيقة المتصلة بفطرة الإنسان؟ إن واقع الأمور ينطق بخلاف ذلك، فما دامت المجتمعات لم تصدر جميعًا عن تلك الحقيقة، فإننا نجدها تفترق في ثقافاتها على فرق شتى، تتسع الهوة بينها وتزداد عمقًا بقدر اب تعادها عن عناصر الحقيقة المذكورة المجسدة لجوهر الإنسان. وهذا الأمر هو ما دفع "د.محمد منير مرسي" إلى اعتبار الإنسان الناضج نتاج ثقافة أكثر من أي شيء آخر يسمى بالطبيعة الإنسانية.. ويخلص من ذلك إلى أنه ليس ثمة تربية وحيدة مناسبة للإنسان في ذاته، بل هناك مدى م ن النظم التربوية المناسبة للناس بثقافاتهم المختلفة، ذلك أن الطبيعة الإنسانية هي نتاج لزمانها ومكانها(١٢).

لقد كان بالإمكان أن نتفق مع هذا الرأي لو بقي عند حدود تصوير الواقع الثقافي البشري على ما هو عليه، أما أن يتجاوز ذلك إلى القول بأن النظم التربوية الم تعددة مناسبة للناس، فهذا ما لا يمكن أن يعبر عن حقيقة الأشياء. فمهما يبدو للنظر السطحي في بعض الأحيان أن تلك الأنظمة التربوية مناسبة لأصحـابها، فإن ذلك النظر لا يلبث أن ينكشف زيفه للعيان مع انفجار الأزمات الخانقة التي تطوق الإنسان وتعتصره بعنف من جراء التناقضات والفووق التي تعاني منها تلك الأنظمة، لأن بناءها في واد، وجوهر الإنسان في واد آخر.

إن هذه الفكرة هي ما يشير إليه الكاتب نفسه بعد الفقرة السابقة بقليل بقوله : (ومع هذا فإن النسبية الثقافية تخلق أيضًا مشكلة خلقية خاصة بها، فهل لنا أن نتقبل أي عرف باعتبار أن له ما يبرره، بغض النظر عن مدى مقتنا له، طالما أنه يشكل جزءًا متكاملاً في ثقافة أخرى؟ أليس لنا الحق أن ننعى على الإبادة الجماعية وأكل لحوم البشر والرق والتعذيب الجسمي لمجرد أنها تمارس بواسطة شعوب أخرى؟...) .

قد يقول قائل: ما دامت الطبيعة الإنسانية واحدة وجوهرها واحدًا، فلماذا هذه الألوان من الأوضاع الثقافية؟ وما السر في وجود أنماط متباينة من الناس تأخذ بقيم متباينة كل التباين، حتى لتصل إلى التناقض فيما بينها؟ والجواب (١٣) على هذا يكمن في طبيعة الإنسان نفسها، إذ ليس اختلاف النماذج البشرية باختلاف الثق افات دليلاً على تعدد الجوهر الإنساني، بل هو دليل على قابلية الإنسان للتطبع بعقائد البيئة وقيمها إلى حين .. تلك البيئة التي تكتنفه في مراحله الأولى -وهي مراحل الطواعية المفتوحة لكل شيء -مما يترتب عنه تشكل عقليته ونظرته للحياة، وفقًا لقوالب تلك البيئة التي تحتضنه.

أضف إلى طواعية الإنسان ومرونة طبعه حرص الآباء على أن يكون أبناؤهم على غرار النماذج المرضية عندهم، المألوفة لديهم. هذه الحقيقة الكبرى هي ما يتضمه حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) (١٤).

لقد أخرج هذا الحديث المولود البشري وعزله ككائن مستقل عن المجتمع (الدين) الذي يولد فيه، وجعله على طرف واحد، وجعل على الطرف الآخر ما يتوارثه الآباء والمجتمع من دين ومعتقدات وقيم ونمط في الحياة، وأشار بهذا الفصل إلى وجود تناقض حاد وعميق بين الطرفين: بين ما ترشحه له فطرة الإنسان التي جعلها الله في خلقه من جهة، وبين حرص وقدرة الآباء على نقل ما توارثوه وتعودوا عليه إلى أولادهم من جهة أخرى. فأثار هذا الحديث بهذا الفصل قضية صارت أهم وأكبر قضية في تحرر الإنسان وفي تربيته بعد مجيء الإسلام: فهل يتقرر نمو ومصير المولود البشري في عقليته ومعتقداته وقيمه في هويته الدينية الحضارية، بفعل ما توارثه آباؤه من المجتمع الذي يولد فيه؟ أم هل يمكن أن يكون له مصـير آخر يختلف عن ذلك المصير؟ وما هو هذا المصير؟ وأي المصيرين خير له وأفضل؟ وكيف نحكم في هذه القضية وعلى أي أسس؟(١٥).

من خلال هذا النص العميق حقًا، والذي نفذ فيه صاحبه إلى جوهر المشكلة الثقافية والتربوية، تتكون لدينا قناعة بأن المظاهر التي قد تتجلى فيها الطبيعة الإنسانية، والأردية التي ترتديها، لا ينبغي بحال من الأحوال أن تحجب عن عقولنا ذلك الجوهر الكامن في أعماق نفس الإنسان، وإلا كنا معرضين للانسياق وراء أهواء الإنسان وتعبيراته الفجة، ظانين أنها تعبر عن أصالته وحقيقة وجوده . وينبغي في مقابل ذلك، أن نتجه بأنظارنا ونحن نتعامل مع الإنسان، إلى أن نخاطب فيه فطرته الثابتة، التي تحتاج إلى نسق ثابت من القيم لا يتبدل، وإلا انحرف عن جادة الفطرة إلى متاهات تشوه الإنسان . وصدق الله تعالى القائل: (فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله) (الروم: ٣٠). (...فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً) (فاطر: ٤٣).

إن (هذا التركيز على ما أوجد في خلق الإنسان من قدرات تر شحه لحب الحق والتوجه نحوه ربه، نقل مهمة التربية نقلاً جذريًا وغير غاياتها تغييرًا أساسيًا، فبعد أن كانت مهمتها نقل ما توارثه الآباء والمجتمع، صارت مهمتها توفير ما يلائم فطرة الإنسان من نمو عقلي وخلقي ووجداني وصارت غايتها كمال هذه الفطرة . وبهذا الانتقال، ار تقت التربية من ضيق وتعدد ونسبية المجتمعات المختلفة، إلى تربية عالمية ترتبط بحقيقة الإنسان نفسه أينما كان وفي أي عصر كان) (١٦).

إن المعطيات الآنفة الذكر يشهد لها ويعضدها أن (الإنسان المعاصر رغم كل التطورات التي تعرضت لها حياته، يؤمن بنفس المفاهيم والقيم ا لتي كان الإنسان يؤمن بها قبل مراحل عديدة من التاريخ المعاصر . فإن المحبة والتآلف، والرحمة والعدل، والصدق والأمانة، والحرية والعواطف الإنسانية، التي كانت تحتل محلاً رفيعًا منذ أقدم العصور في تاريخ الإنسان، لا تزال تحتفظ بمكانتها من النفس الإنسانية، في ظروف م ادية مختلفة تمامًا عن الظروف السابقة لحياة الإنسان) (١٧).

والتربية في البلاد الإسلامية، لكي تخرج من هذا التخبط المريع، لا بد لها من أن تعض بالنواجذ على هذه الحقائق، ليس لتنقذ نفسها من الضياع والعزلة التي تنوء بأثقالها

فحسب، بل لتخلص الإنسانية الشقية من حولها، التي تعاني أصعب حالات الاغتراب عن الذات، والابتعاد عن الفطرة.

طبيعة القيم في نظر الإسلام:

إن النظرة الإسلامية للقيم تتصف بالكمال، لأنها تنبع من المذهبية الكاملة، لأن مصدرها هو الله عز وجل الذي يعلم خبايا الإنسان والكون وسننه، التي في إطارها يتحرك الإنسان ويمارس وظيفته في الحياة: (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف) (الملك : ١٤)، (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) (غافر:١٩). فالإسلام الذي حرر الإنسان من عبودية نفسه، ومن الغرور، أمده بالتصور الصحيح، وحدد له الضوابط التي ينبغي أن يقف عندها، إذا هو أراد أن يحترم عقله ونفسه، والتي إذا تجاوزها لطيش أو غرور، وقع لا محالة في تناقضات صارخة، وحكم على نفسه بالتيه والدوران في دوامة محرقة.